شاء الله ـ قانونياً كاملاً.

غير ان هذا السخاء لم ينفع السوفيات كثيراً؛ اذ ما ان استتبت الاوضاع، وهدأ غبار الحرب العربية ـ الاسرائيلية الاولى، ووقعت اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية، ثم قبلت اسرائيل عضواً في الامم المتحدة، الخ، حتى قلب الاسرائيليون ظهر المجن، علناً، للسوفيات، ايضاً، واتجهوا صوب الغرب وانحازوا له، لتقديرهم ان مصالحهم الاستراتيجية كامنة في مثل هذا الاتجاه. ويبدو واضحاً، مثلاً، من الوثائق الاسرائيلية الرسمية الكثيفة التي نشرت حول هذه الفترة، ان الاسرائيليين بذلوا كل ما في وسعهم للانخراط في الاحلاف المعادية للسوفيات التي حاول الغرب اقامتها في منطقة الشرق الاوسط، خلال النصف الاول من الخمسينات. بل انهم كانوا «يطقون» عندما فشلوا في ذلك. ويقال ان الفشل، في هذا المضمار، ومن ثم شعور اسرائيل بـ «الوحدة» ورغبتها في اثبات وجودها، هو واحد من الاسباب الرئيسة التي دفعت السياسة الاسرائيلية، في تلك الفترة، الى انتهاج اسلوب شنّ العمليات الانتقامية ضد الدول العربية المجاورة، رداً على محاولات التسلّل منها الى داخل اسرائيل أو مهاجمة سكانها؛ وهي الهجمات التي ساهمت، اكثر فاكثر، في تسميم الاجواء بين العرب واسرائيل، وزادت من المشاكل المعلقة تعقيداً، وجعلت من السلام العربي ـ الاسرائيلي حلماً بعيد المنال.

الّا ان اسرائيل لم تعان من «وحدتها» هذه كثيراً، على كل حال. فمع نشوب الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في العام ١٩٥٤، واتجاه مصر الناصرية الى دعمها، وجدت اسرائيل، سريعاً، الطريق الى عقد حلف مضاد للعرب مع فرنسا، ثم تواطئت معها ومع بريطانيا لشن العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦. واستمرت بعد ذلك في تحالفها الوثيق مع فرنسا، وحظيت منها على مساعدات عسكرية ضخمة لعبت دوراً هاماً في اعداد الجيش الاسرائيلي لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧. الّا ان تلك الحرب دفعت، على كل حال، بالتعاون الفرنسي ـ الاسرائيلي الى نهايته؛ اذ فرضت فرنسا، على اثرها، حظراً على تصدير السلاح الى اسرائيل، ثم راحت تخفّف، تدريجياً، من ارتباطها بالكيان الصهيوني، وتتجه الى انتهاج سياسة تقارب مع العرب. ولكن الاسرائيليين سرعان ما وجدوا حليفاً جديداً، فاتجهوا صوب الولايات المتحدة الاميركية ووثقوا علاقاتهم معها وراحوا يحصلون منها على دعم ومساعدات لم تخطر سابقاً على بالهم، وكانت عاملاً هاماً في دعم استمرار عدوانهم.

وعلى سبيل التلخيص، يحلو لمنظّري العمل طرح وجهة نظرهم، في هذا المجال، بالاشارة الى قول ينسب لبن ـ غوريون مفاده، انه لا يجوز لاسرائيل ان تدخل مساراً استراتيجياً كبيراً، سلمياً كان ام عسكرياً، من دون ان تكون هنالك دولة كبرى واحدة، على الاقل، تقف الى جانبها. ويستحسن، حالياً، ان تكون هذه الدولة هي الولايات المتحدة الاميركية.

بين النظريات والواقع

أثارت عودة العمل الى الحكم في اسرائيل ردود فعل متناقضة بين الفلسطينيين خصوصاً، والعرب عموماً، بحيث كاد المرء يشعر كأن هناك من بات على استعداد، لولا الخجل، لارسال برقيات التهنئة الى رابين، من جهة، بينما عادت الى الظهور، من جهة أخرى، التقويمات الساذجة المعروفة القائلة ان شيئاً لم يتغيّر، وانه لا فرق هنالك بين العمل والليكود؛ اذ ان كلاهما سيء. والحقيقة هي ان كلاً من هذين التقويمين ليس في محله. فقد يكون هنالك شيء من الصحة في القول ان الخيار بين الليكود والعمل هو بين السيء والأقل سوءاً، ولكن على الرغم من ذلك، يبقى الاقل سوءاً فعلاً اقل سوءاً من السيء. والموقف العقلاني هو ذاك الذي يحاول التعامل مع الواقع والافادة منه، قدر المستطاع،